دفتر «أنا»: محاولة لتنمية مهارة مراقبة الذات لدى الأطفال

دعاء دجاني، ونجاح دويك، وسناء الباشا

في بداية الفصل الدراسي الثاني من العام 2004، توجهت إدارة مدرسة الإيمان الابتدائية إلى مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، لتطوير فكرة عمل مشروع للأطفال يعتمد على مهمة حقيقية (authentic task)، وبعد النقاش مع معلمات الصفين الأول والثاني تم التخطيط لعمل دفتر قصاصات للمرحلة الدنيا، وكان قد تم عمل مثل هذا المشروع في السنة الماضية. وبعد مزيد من النقاش، تم اختيار موضوع «أنا» ليشكل محوراً لعمل دفتر القصاصات، وكان الهدف من هذا الاختيار هو محاولة **تنمية شعور الطفل بذاته**، حيث أن أحد أبعاد الفكر الناقد الأساسية هي مراقبة الذات، ومن الممكن البدء في تنمية هذه المهارة لدى الأطفال من خلال التركيز على ذات الطفل. وكانت الفكرة البدء مع الأطفال على عمل مشروع «أنا»، حيث يقوم الطفل بعمل دفتر قصاصات (ملصقات) يلصق فيها صوره ورسوماته وبصمات أصابعه وصور تعبر عن طعامه المفضل وهواياته. ومع تطور اللغة يمكن أن يكتب الطفل بعض المعلومات عن عائلته، وقد يضيف الطفل الأكبر سناً العديد من الأمور التي تشجعه على التأمل بذاته وبنقاط القوة والضعف لديه، قد يخصص الطفل صفحات بعناوين معينة مثل: من ذكرياتي ...، أفضل الأشياء التي يمكنني القيام بها ...، الأشياء التي من الصعب علي إنجازها ...، أصدقائي ...، أحب في أصدقائي الصفات التالية ...، عندما أكون وحدي، فإنني أفكر في ...، أسعد الأوقات عندي هي ...، أحزن عندما ...، أفضل القصص لدي ...، أفضل الألعاب عندي ...، هواياتي هي ...، طموحي للمستقبل ... الخ.
إن ملاحظة الطفل لما يحبه وما يكرهه، والانتباه لنقاط القوة والضعف لديه تساعده على تطوير فهم أعمق وأكثر موضوعية لشخصيته وطرق تفكيره.

ودفتر القصاصات بصفته مشروعاً تعليمياً يشكّل مهمة تحتاج إلى التركيز وبذل الجهد. فالمشاريع الطلابية للصغار بهذا المعنى تتمحور حول الطالب نفسه، لأنه هو الذي يختار موضوعه المحدد ضمن الإطار العام (وصف ذاته)، ما يزيد من دافعية الطلبة للتعلم. وفي هذا النوع من التعلم، يختلف دور المعلمة عن الدور التقليدي. فالمعلمة تخطط للمشروع مع الأطفال، وتساعدهم، وتجيب عن أسئلتهم، وترشدهم إلى طريقة العمل الصحيحة. والعمل على مشروع تعليمي مهما كان بسيطاً، له الكثير من المزايا التي نودّ التذكير بها، فالمشروع التعليمي:

- يمثل مهمة حقيقية ستطلب من الطلاب في حياتهم المستقبلية.
- ينمي هذا المشروع مهارات التفكير الناقد والتفكير الإبداعي لدى الأطفال.
- يمكن للطلاب أن يقدموا عملهم لزملائهم وللآخرين ويكونوا بمثابة «الخبراء»، حيث أنهم الذين سيقومون بالعرض، ما يولد في غرفة الصف نوعاً مختلفاً من الحوار والتفاعل الصفي.
- يلائم عمل هذا المشروع الطلبة في مختلف المستويات التعليمية، فكل سيقوم بعمل يميزه ويعكس قدراته، ما يزيد من ثقة الطلبة بأنفسهم ومن قدرتهم على التعلم المستقل والإبداع.
- يعتبر هذا المشروع فرصة جيدة لتنمية المهارات اللغوية بأسلوب بديل عن الأسلوب التقليدي، ما يزيد من دافعية الأطفال.
- يتعلم الأطفال مهارة البحث عن المعلومات (كقص الصور من الكتب، والمجلات، وسؤال البالغين من حولهم)، كما يتعلمون مهارة تنظيم وعرض هذه المعلومات (تصنيف المعلومات، إضافة رسومات أو إلصاق صور، عرض المعلومات شفهياً).

بدأ تخطيط معلمات المرحلة الدنيا بتطوير القائمة التالية التي طلب من أطفال الصف الأول والثاني الإجابة عنها، بحيث يختار طلبة الصف الأول 4 – 8 أسئلة، بينما يختار طلبة الصف الثاني من 6 – 10 أسئلة، بحيث يبدأ كل دفتر بالصفحة التالية: اسمي واسم عائلتي وتاريخ ميلادي وصفي وصورتي وبصمة أصبعي، وطولي، ووزني، ولون بشرتي، ولون عيوني. ثم يختار كل طفل ما يشاء من العناوين التالية ليكتب عنها:

- عائلتي: ..... .
- هواياتي: ..... .
- من ذكرياتي في هذا الصف ..... .
- أفضل الأشياء التي يمكنني القيام بها ..... .
- الأشياء التي من الصعب عليّ القيام بها ..... .
- أصدقائي هم ..... .
- أحب في أصدقائي الصفات التالية ..... .
- عندما أكون وحدي، فإنني أفكر في ..... .
- أسعد الأوقات عندي هي ..... .
- أحزن عندما ..... .
- أفضل القصص لدي ..... .
- أفضل الألعاب عندي ..... .
- برامجي المفضلة هي ..... .
- في المستقبل أريد أن أكون ..... .
- أتمنى أن أكون مثل ..... .
- عمل خيّر قمت به، أو أريد أن أقوم به ..... .

أكّدت المعلمات المشاركات أن الطلبة تفاعلوا إلى حد كبير مع هذا العمل، وأنه كان من الممتع الاستماع إليهم أثناء تقديم دفاترهم، فكل طفل كان لديه ما يقوله ويضيفه (ليس كما في حل الأسئلة، حيث يردد كل الطلبة الإجابة نفسها)، حتى أشكال الدفاتر مميزة ومختلفة، فكل طفل اختار شيئاً خاصاً به، فمثلاً قال أنس في الصف الأوّل «... اخترت أعمل دفتري على شكل أناناس لأنهم بيدلعوني أنّوس ... زي أناناس...». ومعظم الأطفال اختاروا عمل الدفتر على شكل شيء بسيط يحبونه ويعرفون كيف يرسمونه.

بعض الأسئلة كانت إجاباتها بسيطة ومباشرة (كالطول، والوزن، ولون العينين ...) وحتى أثناء قراءة هذه التفاصيل، كانت تسمع في الصف همهمات «طوله مثلي أنا ... زي عيون فلان ...»، وبعض الأطفال ألصقوا صوراً لهم، وبعضهم رسموا أنفسهم، وبعضهم استخدم صوراً من الجرائد والمجلات للتعبير عما يحبه وعن هواياته، وبعضهم وظف الكمبيوتر لطباعة بعض الصفحات وإضافة الرسومات ... .

وإجابات بعض الأسئلة كانت أكثر عمقاً، فمثلاً تحت عنوان «من ذكرياتي»، كتبت إحدى طالبات الصف الأوّل «أتذكر الزلزال وأنا أعمل عيد ميلادي في الصف...». وطالبة أخرى من الصف الثاني كتبت «أتذكر استشهاد الشيخ أحمد ياسين وكيف روّحنا وكان في مشاكل عند الحاجز...». أحد الأطفال كتب «أحزن عندما تضربني أمي وأحزن عندما لا أحبّ أمي...». وكتبت طفلة أخرى «أحزن عندما أرى صور الجرحى وهدم البيوت...».

وكان من أهداف هذا المشروع كذلك تنمية مهارة مراقبة التعلم لدى الأطفال، لذلك تم تطوير المحكات المرفقة ليتم الرجوع إليها (ربما بمساعدة من ولي الأمر) ليقيم الطالب أداءه ويحدد نقاط الضعف والقوة لديه. كما قام كل طالب بعرض دفتره أمام زملائه، والحديث عن تجربته، وما كان سهلاً وما كان صعباً عليه، وما كان ممتعاً وما كان مملاً بالنسبة له. ومن المثير للاهتمام أن بعض الأطفال لونوا وجوها حزينة عند بعض الفقرات أي أنهم أدركوا أن ما تنص عليه هذه الفقرة هو نقطة ضعف في أدائهم، وكانت المعلمة تناقش مع الأطفال ورقة التقييم؛ فمثلاً أحد الأولاد أشار إلى الوجه الأخير عند الفقرة:

أستطيع أن أعرض دفتري أمام طلاب صفي.	☺	😐	☹

ولما سألته المعلمة عن السبب قال بأنه لا يحب أن يقرأ دفتره وكل الأولاد ينظرون إليه، ما يشير إلى أن الطالب كان يدرك معيار الأداء الجيد، واستطاع أن يحدد إحدى نقاط الضعف لديه.

وخصصّت الصفحة الأخيرة من كل دفتر لكتابة ملاحظات من الأهل، وكتب الأهل آراء مشجعة، فمثلاً تقول إحدى الأمهات «لقد أمضت ابنتي وقتاً ممتعاً في البحث عن الصور واختيار الصور المناسبة وإلصاقها ووصفها...». وتقول أم أخرى «لقد تفاجأت أن ابني كتب في دفتره أن من الأعمال التي يصعب عليه القيام بها هو ترتيب سريره وغرفته ...»، وكتب أحد الآباء أن ولده «يدرك الآن معنى الوزن والطول وبصمة الإصبع، وقد كانت من قبل مفاهيم غامضة بالنسبة له». وأثنت معلمات الصفين الأول والثاني على أداء الطلبة، وأكّدن أن كل طالب قرأ دفتره في الصف أخذ دور المعلم الخبير الذي كان يتحدث والطلبة مستمعون إليه ويحاورونه، ما ولّد نوعاً مختلفاً من الحوار الصفي، وزاد من ثقة الطلبة بأنفسهم. وقالت إحدى معلمات الصف الأول في نهاية النقاش «حبذا لو كان لدي دفتر قصاصات عملته في الصف الأول، لا بد أنّه سيكون من الممتع النظر إليه الآن...».

مرفق رقم (1) نموذج التقييم الذاتي

أنظر إلى هذه الورقة قبل أن أعمل دفتري، وأنا أعمل دفتري وألوّن الوجوه بعد أن أنهي دفتري.
كيف قمت بعمل دفتر القصاصات؟ لون الوجه الذي يعبر عن تقييمك لعملك.

كتبت اسمي على أول صفحة في الدفتر.	☺	😐	☹
كتبت صفي على أول صفحة في الدفتر.	☺	😐	☹
كتبت العدد المطلوب من الصفحات.	☺	😐	☹
خطي واضح ومقروء.	☺	😐	☹
ألصقت صورتي.	☺	😐	☹
دفتري نظيف ومرتب.	☺	😐	☹
صوري جميلة.	☺	😐	☹
عندما كنت أواجه صعوبة كنت أسأل معلمتي أو أحد أفراد أسرتي.	☺	😐	☹
لقد أحببت عمل دفتر «أنا».	☺	😐	☹
أستطيع أن أعرض دفتري أمام طلاب صفي.	☺	😐	☹

برامجي المفضلة هي الرسوم المتحركة. أتمنى أن أكون مثل أبي. في المستقبل أريد أن أكون طبيب أطفال.

عائلتي:
عدد الأفراد 9.
من يعيش معنا: خادمة اسمها بملة.
أسماء أخوتي وأخواتي:
أخي: مالك.
أخواتي: نور، ورغد، ودنيا، ولانا، وليان.

مرفق رقم (2) بعض النماذج من دفاتر الأطفال

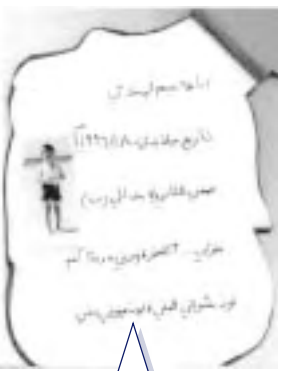

أنا طه نعيم الهندي.
تاريخ ميلادي 1996/6/28.
صفّي الثاني الابتدائي (ب).
طولي 123 متراً، ووزني 25 كغم.
لون بشرتي قمحي،
ولون عيوني بني.

عندما ترفعت إلى الصف الأول شعرت بأنني كبرت. أحب هذا الصف لأنّه أول الصفوف الأساسية. ومن أجمل ذكريات هذا الصف هو يوم من أيام رمضان وإفطارنا الجماعي، فكان يوماً مميزاً وجميلاً، وكذلك ذبح الخروف في عيد الأضحى، وثمّ أكل الخروف في الصف أيضاً.

دعاء دجاني- مركز القطّان
نجاح دويك، وسناء الباشا – مدرسة الإيمان – القدس